

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم الدعوة والإعلام والاتصال

محاضرات في مقياس الفكر الخلدوني - السنة الثانية علوم الإعلام والاتصال -

د/ وهيبة روابح

مدخل إلى مقياس الفكر الخلدوني:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد أما بعد؛ تناولنا في محاضراتنا السابقة العديد من المعارف المتعلقة بحياة العلامة عبد الرحمان ابن خلدون وآثاره، والمهام التي تقلدها في حياته والمجتمعات التي عاصرها. وقد سمح لنا الاطلاع على تقسيمات فصول المقدمة؛ من معرفة أهم المواضيع التي طرقها العلامة؛ ثم التعمق في الأفكار والأطروحات التي تضمنتها عن علم التاريخ وعلم العمران البشري، والتي رأى فيها ابن خلدون أن التركيز على واقعات العمران البشري؛ وصفها تحليلها وتفسيرها، مقارنتها؛ كفيل بفهم حركة التاريخ الإنساني، والتأريخ لهذه الأحداث بعلمية وموضوعية؛ وصولاً إلى كتابة علمية للتاريخ تنأى به عن الخرافة وعن السرد القصصي. وفي نفس السياق ومن خلال مقتطف من المقدمة، اطلعنا على رأيه في الخبر وما يعتري هذا الخبر من الصحة والكذب ومصادر الخبر؛ من ثقة بالناقلين وتشجيع للآراء والمذاهب وذهول عن المقاصد... ، وتم تبيان علاقة هذه الأفكار الواردة في مقدمة المقدمة، بتخصص علوم الإعلام والاتصال من خلال طرح العديد من الأمثلة الواقعية والراهنة.

نتقل إلى بقية المادة العلمية في هذا المقياس والتي تغطي أربع محاضرات أو أكثر؛ سيتم التركيز فيها على المفردات المتبقية من المقياس؛ وتهدف هذه المحاضرات إلى الإحاطة بجمل أفكار ابن خلدون وذلك بالتركيز على تأسيسه لعلم العمران البشري، وتحديد منهجه في دراساته الاجتماعية، وكذا منهجه التربوي والتعليمي، وأخيراً مفهومه عن العصبية كأساس لقيام الدول وازدهارها. سيمكننا كل هذا من تحديد أهم معالم الأطروحات الخلدونية في عناصر محددة ومبسطة، تسهل على الطلبة فهمها واستيعابها.

1- تأسيس علم العمران البشري عند ابن خلدون:

لقد جاءت أفكار العلامة ابن خلدون في سياق تاريخي مختلف ومعقد وذاخر بالأحداث؛ يمكنه من أن يرصد أهم واقعات العمران البشري وما اتصل بها، وما شابهها في مجتمعات مغايرة؛ فابن خلدون سعى لفهم وتفسير المجتمعات التي عاصرها ومقارنتها بمجتمعات أخرى في سياق الصيرورة التاريخية، سابقا بذلك علماء الاجتماع الغربيين من مؤسسي علم الاجتماع أمثال: أوغست كونت وإميل دوركايم وماكس فيبر وكارل ماركس وغيرهم، وهنا يؤكد المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (1989-1975) على الفكر المبدع لابن خلدون بقوله: "إنه عبقرى عربي أنجز في فترة عزله التي تقل عن أربع سنوات عمل العمر كله، في شكل قطعة من الأدب، يمكن أن تقارن مع ثوسيديد (المؤرخ الإغريقي) أو ميكيافيلي (الفيلسوف الإيطالي) سواء من حيث الاتساع أو عمق النظرة أو من حيث القدرة الثقافية".¹

لقد سعى ابن خلدون إلى رصد طبائع البشر وأحوالهم وطرق كسبهم ومعاشهم، وأطلق عليها واقعات العمران البشري، أو أحوال الاجتماع الإنساني، وعن هذا يقول ابن خلدون " اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أن خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران من التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال".²

يشير ابن خلدون في الفصل الأول من المقدمة إلى ضرورة الاجتماع الإنساني، فالإنسان مدني بطبعه ولا بد له من الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، ولهذا العمران خصائص وسمات تجعل من المجتمعات المشكلة له مختلفة في تركيبها وفي خصائصها؛ حيث يقسمها ابن خلدون إلى مجتمع البداوة الذي يعتمد فقط على ما هو حاجي وضروري وبسيط، في مقابل مجتمع الحضرة المتميز بحياة الدعة والرفاهية والترف والسكون ووجود الصنائع والتشييد؛ ما يجعل من فكرة تقسيم العمل ضرورية في مثل هذا النوع من المجتمعات، وهي فكرة تناولها العلامة بالتحليل قبل أن يعالجها بعد ذلك بقرون كل من:

¹ محمد الجوهري ومحسن يوسف، ابن خلدون انجاز فكري متجدد، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2008، ص 73. المقولة وردت في مرجع: جمال حواسنة، علم الاجتماع العام، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الثانية ل م د، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والإعلام، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2010-2011، ص 14.

² عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010، ص 29.

عالم الاجتماع الألماني كارل ماركس في كتابه رأس المال، وأيضا عالم الاجتماع الفرنسي اميل دوركايم في أطروحة نيله للدكتوراه التي كانت موسومة ب: عن تقسيم العمل الاجتماعي (1893)، حيث يؤكد دوركايم أن تقسيم العمل يخلق نسقا من الحقوق والواجبات التي تربط الأفراد بعضهم ببعض، بطريقة دائمة.¹

2- منهج ابن خلدون في دراساته الاجتماعية:

اعتمد ابن خلدون في تأريخه للمجتمعات على جملة من المناهج التي مكنته من إرساء دراسات اجتماعية مختلفة لا تنتمي فقط إلى حقل علم التاريخ أو السوسيولوجيا (علم العمران البشري)؛ ولكنها تمثل دراسات في ميادين عدة من حقول المعرفة في العلوم الاجتماعية مثل الأنثروبولوجيا والاقتصاد² والسياسة وعلوم التربية والجغرافيا وعلم النفس.

لقد تمثلت هذه المناهج في المنهج التاريخي؛ من خلال محاولة الكشف عن القوانين التي تحكم انتقال المجتمعات الإنسانية من مرحلة بسيطة إلى أخرى معقدة، مثل انتقال مجتمع البداوة إلى الحضارة لأن أصل الحضارة بداوة كما ورد في المقدمة، كذلك اعتماده المنهج المقارن من خلال مقارنته للواقع بعضها ببعض في نفس المجتمع وفي مجتمعات أخرى، وستوضح النقاط التالية أهم المراحل التي اتبعها ابن خلدون في اعتماده المنهج التاريخي³ والمنهج المقارن:

- ملاحظة ظواهر الاجتماع الإنساني لدى الشعوب التي أتبع له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- تعقب هذه الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة.
- تعقب أشباهها في تاريخ شعوب أخرى، لم يتبع له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها.
- الموازنة بين هذه الظواهر الاجتماعية جميعها.

¹ Émile DURKHEIM, De la division du travail social, Paris, Éditions PUF, 1967, p 403.

² اتجه ابن خلدون إلى دراسة أصل المجتمعات وأسباب الاختلافات الموجودة بين شتى الجماعات وبين أساليب حياتها، فدرس تأثير المسكن على الحياة الاجتماعية، وعمد إلى دراسة نشوء الظواهر الاقتصادية محاولا تفسيرها وإيجاد قوانين تسيروها. من مرجع:

- زهير عبد الملك، علم الاجتماع لطلاب الفلسفة، منشورات مكتبة الوحدة العربية، بغداد العراق، 1967، ص 73.

³ نشير إلى أن المنهج التاريخي هو نفس المنهج الذي اعتمده علماء اجتماع وفلاسفة غربيون مثل ماركس في أطروحته عن المادية التاريخية.

- التأمل في مختلف الظواهر للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية واستخلاص قانون تخضع له هذه الظواهر في الفكر السياسي وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.¹

كما برز جلياً تمسك ابن خلدون بالطريقة التجريبية، في تأثر بعلماء مسلمين مثل ابن رشد وابن الهيثم، وقد ظهر ذلك في استخدامه للحس والمنطق وقياس الذاهب والحاضر²؛ وذلك بإخضاع واقعات العمران البشري لمحك الواقع لاختبار مدى صدقها أو زيفها. لقد جاء تأكيداً على استخدام المنهج الاستقرائي القائم على مبدئين هما السببية والحتمية في النظر إلى الظواهر الاجتماعية؛ فالسببية هي سعي العالم للكشف عن الأسباب التي تقف وراء الظواهر والأفعال الاجتماعية³، بينما تعني الحتمية أن توفر نفس الأسباب والظروف المشاهدة يمكن أن يجعل من النتائج متقاربة وبالتالي إمكانية التعميم على الظواهر المشاهدة. وقد توصل إلى أن واقعات العمران البشري محكومة بنفس السنن والقوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية؛ وهي نفس الفكرة التي توصل إليها فيما بعد أصحاب الاتجاه الوضعي في مدرسة علم الاجتماع الغربي أمثال: هربرت سبنسر (المماثلة العضوية) وهنري دو سان سيمون، وأوغست كونت وأميل دوركايم؛ في تأثير كبير بما حققته علوم الأحياء (البيولوجيا) من إنجازات مقارنة مع العلوم الاجتماعية، خصوصاً علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. ويمكن القول أن حس الباحث المتدخل لعب دوراً حاسماً في نبوغ وعبقريته ابن خلدون؛ حيث مكّنه من النظر إلى حوادث زمنه، نظرة الباحث المتفحص الذي يتحلى بالصرامة والموضوعية في الوصف والتشخيص والتفسير لمختلف وقائع العمران البشري.

3- المنهج التربوي عند ابن خلدون:

يؤكد ابن خلدون في مقدمته على أهمية العلوم والتربية، ويعتبر أن العلم أمر طبيعي في العالم البشري؛ لأن الإنسان يتميز عن الحيوان بالفكر الذي يهتدي به للحصول على معاشه ورزقه؛ حيث يقول: "ولما

¹ جمال حواوسة، مرجع سابق، ص 20.

² المرجع السابق، ص 13. نقلاً عن مرجع: خالد علال كبير، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة، دار الإمام مالك، الجزائر، الجزائر، 2005، ص 04.

³ نقطة منهجية مهمة تبناها فيما بعد ماكس فيبر حتى يؤسس لتيار مجدد في حقل علم الاجتماع الغربي هو سوسولوجيا الفهم، في مقابل تيار الهوليزم (الكليانية).

كان العدوان طبيعياً في الحيوان جعل لكل واحد منها عضواً يختص بمدافعتة... وجعل للإنسان عوضاً عن ذلك كله الفكر واليد...¹. والعلم عند ابن خلدون يتطلب تعلماً وهو من جملة الصنائع²، ذلك أن الحذق في العمل والتفنن به والاستيلاء عليه إنما هو الملكة³، وما لم تحصل الملكة لم يكن الحذق وتكون هذه الملكة في غير الفهم والوعي. ويعالج العلامة وظائف العلم وفضله بنفس المنطلق الذي اتبعه الفقهاء فاصبغوا عليه الصفة الدينية والشرعية، ولم ينظر إلى موضوع العلم بمنطق الفلاسفة الذين وضعوا العقل البشري المقياس والمعياري، بل كانت له منهجيته وتصوراته وتحليلاته؛ حيث نظر إلى العلم والتعليم كظاهرة عامة وطبيعية في العمران البشري. وللعلم⁴ عند ابن خلدون وظائف نوجزها في ما يلي:

- يؤدي العلم وظيفة حياتية معيشية على صعيد الأفراد؛ فالصناعات هي إحدى وسائل الرزق وكسب القوت والصنائع، إضافة إلى أنه ينظر إلى تعليم العلم كصناعة قائمة بذاتها، لها غرض اقتصادي معيشي وغرض فكري إنساني، وأهم صناعة في العلم اكتساب ملكته.

- للعلم وظيفة حضارية واجتماعية؛ فالتطور الكمي والنوعي للصنائع يفضي إلى انتقال المجتمع من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة، وهو ما يوصل المجتمع إلى التطور والتحضر والعمران.

- للعلم وظيفة دينية، حيث اختار ابن خلدون الطريق الوسط فاعترف بدور العقل في حدود طبيعته المادية والفطرة التي فطره الخالق عليها، ليحقق المرتبة التي اختارها الله له دون سائر المخلوقات، فللعقل مجاله وللشرع مجاله أيضاً. وقد حدد ابن خلدون جملة من الشروط الواجب توفرها في طالب العلم وهي:

- تلقي العلم من أصحابه مباشرة أي ممن يملكون ملكات العلم المطلوب.

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ص 35.

² عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ص 365.

³ الملكة عند ابن خلدون هي مهارة ثابتة تكتسب عن طريق التعلم، سواء تعلق الأمر باللغة أو بغيرها من الصنائع، وقد عرّفها بأنها صفة راسخة يكتسبها الإنسان عن طريق التعلم، وتحدث هذه الملكة عن طريق التكرار والممارسة، يشرح ابن خلدون معنى الملكة فيقول: «والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون الملكة أي صفة راسخة». - عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ص 506.

⁴ لمزيد من الإطلاع أنظر في مقال: اسماعيل موساوي، محاولة في تصنيف العلوم عند ابن خلدون، مؤمنون بلا حدود للدراسات

- عدم الإمعان في التجريد والتعميم؛ فعلى طالب العلم أن ينظر في المواد المحسوسة للتأكد منها قبل أن يرسخ في ذهنه حكمه عليها.
 - قيام الجدل بين المعلم والمتعلم، ومن أيسر طرق امتلاك هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، حتى يُقَرَّبَ الفهم إلى المتعلم وتحصل بذلك الفائدة من عملية التعلم.
 - شد الرحال لنيل المزيد من العلم من العلماء بعد الاكتفاء من أخذه في مكانه.
 - اختيار الأنسب للمتعلم من الفن الواحد، وذلك باقتصار المعلمين على المسائل الأساسية دون الدخول في شروحات متنافرة ومتفارقة، ومحاوله تقريب الأهداف للطالب وتوضيحها.
 - مراعاة مقدرة الطالب ومساعدته على الفهم، وتعليمه بحسب قدراته على الفهم والاستيعاب.¹
- لقد لعب ابن خلدون دور المصلح الاجتماعي والتربوي بحرصه على تحديد منهج خاص بالتربية، ذلك المنهج الذي لا تختلف أسسه ومبادئه عما يدعو إليه علم اللسان التربوي الحديث، بل ويتميز عن المناهج الجديدة ببساطته وتدرجه في المعرفة واستناده إلى الحفظ والذكر، وتمسكه ببساطة المعلم، وبنظام صارم للثواب والعقاب، كما يشير إلى ضرورة استعداد المتعلم للتعلم والتفرغ للعلم، والابتعاد عن إغراءات الدنيا وشهواتها.²

وقد اقترح في هذا الصدد طرقاً تعليمية ذات فائدة في تحصيل العلم للمتعلمين وهي:

- يكون تلقين العلوم للمتعلمين مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا؛ حيث يتلقى المتعلم في البداية مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له شرحها على سبيل الإجمال.
- وجوب مراعاة قوة عقل المتعلم واستعداده لقبول ما يتعلمه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك تحصل له الملكة في ذلك العلم، إلا أنها ضعيفة وجزئية، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسأله، ثم يرجع إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها،

¹ جمال حواسمة، مرجع سابق، ص ص 17-18.

² فاتح زيوان، المنهج التربوي عند ابن خلدون- في ضوء علم اللسان التربوي الحديث- المقدمة نموذجاً- ديوان العرب، جامعة تبسة،
2020-03-26 ، <https://www.diwanalarab.com>

ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال إلى التخصيص والتعمق، فتصقل الموهبة وتنمي الملكة ويحصل العلم.¹

- عدم إرهاق فكر الطالب والإحاطة بطبيعة هذا الفكر، ذلك أن الفكر الإنساني حسب ابن خلدون ينمو ويتطور تدريجياً ويتأثر بما يكتسبه من معلومات ومهارات وما يعرض له من خبرات، تتحكم جميعها كما وكيفاً بسلامة هذا النمو واتجاهه سلماً أو إيجاباً.
- عدم الانتقال من فن إلى آخر قبل فهمه خوفاً من الخلط الذي ينتج عنه عجز عن الفهم والإدراك وهو ما يؤدي إلى كلال وملل الطالب ويئسه من التحصيل.
- النسيان آفة العلم تعالج بالتتابع والتكرار حتى تتحصل الملكة لدى الطالب.
- عدم القسوة والشدة على المتعلمين لما لها من تأثير سلبى عليهم.²

يفصل ابن خلدون في طريقة التعليم بالتركيز على آليات هذا التعلم المفضي إلى امتلاك الملكات؛ فيؤكد على الإصغاء؛ فالمتعلم مطالب بالإصغاء لمعلمه واستيعاب العلوم المختلفة عنه، قبل أن يتطرق للاختلافات في المذاهب، ذلك أن الإنصات هو أبو الملكات اللسانية في نظر ابن خلدون، فالشيء الذي يعين المتعلم على فتح لسانه بالمحاوره والكلام والمناظرة، هو الانغماس الكلي في وسط لغوي عفوي، إذ يسمع ثم يقلد أو يردد ما يسمعه، وهذا ما طرقه ابن خلدون في معرض تفسيره لقول العامة أن اللغة للعرب بالطبع، حيث يقول: فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها... ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكةً وصفة راسخة ويكون كأحدهم. في هذا السياق يقول ابن خلدون "فالتعليم في الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبنى عليه".³ ولا يفوتنا في هذا المقام أن نلفت الانتباه إلى نقطة مهمة بخصوص تعليم الولدان وهي جعله من تعليمهم للقرآن شعاراً من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ص 486-487.

² جمال حواوسة، مرجع سابق، ص 18.

³ عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ص 490.

عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعده من الملكات. فتعليم القرآن حسبه هو البنية المحورية لتشكيل الملكات لدى الأبناء حتى إذا ما شب الفتى عرف معلموه الصناعة أو الفن الذي يمكن أن يبرع فيه أكثر من غيره من مجالات الصنائع.

4- العصبية جوهر قيام الدولة عند ابن خلدون:

لا يمكن أن نتجاهل أطروحة جوهرية في فكر ابن خلدون أشرنا إليها في محاضراتنا السابقة ألا وهي أطروحة العصبية¹ باعتبارها رابطة روحية قائمة أساساً على صلة النسب والمصاهرة وفي مراحل متقدمة من تطور الدولة تصبح قائمة على الحلف والولاء للحاكم وللجماعة التي تسود؛ فالعصبية حسبه موجبة للمناصرة والنصرة والالتحام بين أفراد القبيلة الواحدة أو المجتمع الواحد، كما أن "الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك"² كما جاء في مقدمته. إن هذه الرابطة القوية حسب ابن خلدون هي محور بناء وقيام الدولة وحيارة الملك، وضعف هذه الرابطة مؤذن حسبه بتراجع الدول وانحيارها واضمحلالها كما عبر في المقدمة؛ فابن خلدون كان معاصراً لبداية انهيار الخلافة الإسلامية في الأندلس وشاهداً على مظاهر الانحلال والمجون والسعي وراء الحياة الرغيدة وإهمال شؤون الدولة والرعية.

يفسر ابن خلدون تحول العصبية من علاقة النسب والمصاهرة في المجتمع البدوي، لتصبح قائمة على الولاء والمصلحة في مجتمع الحضرة؛ فالعصبية الخلدونية ليست مرحلة واحدة تقف عند النسب والمصاهرة والدم؛ وإنما هذه المرحلة هي الأساس في مستوى مجتمع البداوة الذي كان موضوع البحث الاجتماعي والحضاري عند ابن خلدون، إن هذه العصبية القائمة على الرحم القريب في أقوى حالاتها الخاصة، والبعيد في حالاتها العامة تتطور لتتجاوز النسب وتصبح التحامل الحاصل بسببه؛ حيث تفقد العصبية معناها النسبي بعد أربعة أجيال³؛ فتصبح الجماعة أو العصبية أقرب إلى الجماعة التي جمعها العيش لفترات في مكان معين، وارتبطت مصالحها المشتركة؛ بحيث وجب عليهم أن يكونوا قوة للمواجهة في

¹ للمزيد من الاطلاع العودة إلى أطروحة المفكر المغربي: محمد عابد الجابري الموسومة ب: العصبية والدولة : معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي 1971.

² عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ص 115.

³ أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ص 113.

وجه التحديات.¹ ومنه تبرز عصبية المستوى الأول الخاص في مجتمع البادية، ويزر المستوى العام في مجتمعات العمران أو الحضارة؛ فعصبية البادية قابلة للتطور مع الانفتاح على العمران، والمجتمع المتحضر تظهر فيه آفاق جديدة للتعاون والتكافل²، والدين أو الدعوة الدينية، سواء أكانت نبوة؛ كما جاءت مع رسول الله - ﷺ - أو دعوة إصلاحية؛ تصبح الأكثر تفوقاً على العصبية في المستوى الأول؛ فهي الأقدر على جمع القلوب وتأليفها: لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الأنفال: 63، وهكذا كما يقول ابن خلدون: فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تم اجتماعهم، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق...³.

ينتقل ابن خلدون في رؤيته من المرحلة البدوية إلى مرحلة العصبية الدينية الجامعة، فيرى أن وحدة الدين تزيد العصبية بالنسب قوة، وتصبح قادرة على إحداث انقلاب في الأوضاع، يتجلى في تحوّل هؤلاء الرعاة الحفاة الموغلين في الفياثي والقفار إلى بُناة حضارة، ومشيّدي عُمران، ومؤسسي ممالك ودول.⁴ ينتهي ابن خلدون إلى استخلاص أن عصبية الدم والنسب تكون في مستواها البدوي وتبقى قاصرة عن تحقيق الملك والحكم إذا ما انتقلنا إلى مجتمع الحضرة؛ ذلك أن حاجتها للدعوة الدينية حاجة ماسة ولا غنى عنها، فهي تزيد الدولة قوة وهيبة على قوة العصبية، فحسبه تذهب الصبغة الدينية بالتنافس والتحاسد⁵ الذي يعتري أهل العصبية، فوحدها الدعوة الدينية تجعل من هؤلاء يتسامون على متاع الدنيا وزخرفها من طمع في الملك والرياسة والسلطة والنفوذ؛ فعلاقة العصبية بالدين عنده هي علاقة

¹ عبد الحليم عويس، الفكر الخلدوني في العصبية والعروبة، https://www.alukah.net/culture/0/58181/#_ftn10، 27-

2020-03.

² يقابل هذه الفكرة عند اميل دوركايم أطروحة؛ التضامن الآلي السائد في المجتمعات البسيطة المستند إلى رابطة الدم والمصاهرة وحتى الجيرة، والتضامن العضوي الذي تكون فيه العلاقات على أساس المنفعة والمصلحة -تقسيم العمل-، وهو نوع تتسم به المجتمعات المعقدة من حيث علاقاتها الاجتماعية.

³ أنظر: فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة. - عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ص 124.

⁴ محمد عابد الجابري، العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، دار الطليعة، ط3، بيروت، 1982، ص 287.

⁵ عبد الحليم عويس، المرجع السابق.

تكامل واحتواء، ويمكن القول أن الفكرة الدينية عنده مؤطرة ومهذبة للعصبية؛ حيث تضعها في إطار شرعي وقيمي يُمكن من تجسيد المشروع الحضاري لبناء الدولة القوية.

قائمة المراجع:

-عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2010.

-جمال حواوسة، علم الاجتماع العام، مطبوعة موجهة لطلبة السنة الثانية ل م د، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والإعلام، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2010-2011.

-خالد علال كبير، أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة، دار الإمام مالك، الجزائر، 2005.

-مُجد الجوهري ومحسن يوسف، ابن خلدون انجاز فكري متجدد، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2008.

-فاتح زيوان، المنهج التربوي عند ابن خلدون-في ضوء علم اللسان التربوي الحديث- المقدمة نموذجاً-، ديوان العرب، جامعة تبسة، <https://www.diwanalarab.com>، 2020-03-25.

-عبد الحليم عويس، الفكر الخلدوني في العصبية والعروبة، https://www.alukah.net/culture/0/58181/#_ftn10، 2020-03-26.

-Émile DURKHEIM, De la division du travail social, Paris, Éditions PUF, 1967.